مكتبة القرية

إذا نجحنا فى استدراج الريفى إلى النور، وإخراجه من عزلته العقلية، نكون قد صنعنا شيئا كثيرا لإصلاح الريف، وتهيئة الأذهان فيه لقبول هذا الإصلاح، بل حفزها إلى المطالبة به .

وفى الريف بعض القارئين ممن تخلصوا من قيود الأمية ، كما أن فيه بعض الطلبة الذين يبعث بهم إلى المدينة فى أثناء العام المدرسى ثم يعودون إليه فى الصيف فينقطعون عن كل ما يتعلق بالثقافة ويقضون العطلة فى ركود عقلى يكترهم فى الريف المحروم من كل وسائل التسلية والمتاع .

فلو كان فى القرية مكتبة صغيرة لأمكن أن تساعد هؤلاء وهؤلاء على الاتصال بالعالم والخروج من هذه العزلة المكروهة ، والوحشة الدائمة .

وينبغى ألا تبعد المكتبة كثيرا عن الثقافات المنتشرة فى الريف ، وعن العقلية الريفية بوجه عام ، وللريف ثقافة خاصة وعقلية خاصة يعرفهما كل من عاش فيه فترة من الزمان .

ولو وكل إلىّ إعداد هذه المكتبة لاتجه اختيارى أول ما يتجه إلى تزويدها بطائفة من الكتب الدينية المبسطة فى الأحوال الشخصية وفى المعاملات والعبادات والأحاديث النبوية التى تتناول مسائل اجتماعية ، وبعض كتب حديثه للتفسير تتفق فيها آيات خاصة مما يتناول الفضائل الدينية والإنسانية والاجتماعية وتشرح شرحا عصريا قريبا من مستوى الأفهام فى القرية .

ذلك أن كل ما يأتى للقروى من ناحية الدين يتقبله قبولا حسنا ويتلقاه بالثقة والاطمئنان فاذا نحن تركنا بين يديه هذه الكتب الموسومة باسم الدين ، دون توجيه شخصى ، فربما كان أثرها فى التهذيب والإصلاح أجدى وأنفع .

وبجانب هذه الكتب الدينية يقوم الركن الثانى من أركان الثقافة الريفية ، من تلك القصص المعروفة جيدا فى الريف المصرى : قصة عنتر بن شداد ، وقصة كليب والزير سالم ، وقصص أبى زيد الهلالى سلامة ، وسواها .

ولا ينكر الأثر التهذيبى والثقافى لهذه القصص إلا من لا يعرف الريف المصرى ، فهى تؤثر أولا فى الذوق بما فيها من نظم وخيال ، وهى تنمى أخلاق الشجاعة والشهامة والاهتمام بالمثل العليا ، ثم تمدهم فى الوقت ذاته ببعض المعلومات التاريخية والجغرافية عن طريق التسلية . وعلى ذكر التسلية اذكر أنها مطلب يجب أن يكون أساسيا فى الريف ، فالحياة هناك كابية حزينة

وقد انتشرت المخدرات والمكيفات لانعدام وسائل التسلية البريئة فكل وسيلة من هذه الوسائل ذات قيمة خلقية ولو لم تكن وراءها ثقافة ولا معرفة .

ولا زلت أذكر شغفنا ونحن صبيان فى القرية بهذه القصص وشغف الريفيين جميعا حينما كان " الكتبى " المتنقل يحل قريتنا ومعه " جوالق " محشوة بهذه الكتب ، فيجلس فى سوق القرية و يصفها أمامه على الأرض ويبيح لنا الاطلاع عليها نظير مليمات قليلة ، أو يبيعها لبعض الموسرين من الصبيان ، فينطلقون بها فى المجامع والسهرات ، يحيلون وحشتها أنسا بهذا القصص اللذيذ المحبوب .

على أنه يمكن أن نضع بجانب هـذه القصص قصصا أخرى حديثة فى أسلوب قصصى سهل أو فى صورة أزجال ، فهذا النوع من النظم قريب من عقلية الريفيين ولغتهم ، ونضمنها وصفا لأمراضهم الاجتماعية وطريقة إصلاحها ، وندع هذا يفعل فعله فى نفوسهم ويشوقهم للإصلاح و يفتح له نفوسهم .

والكتب التى تتناول المسائل الصحية المبسطة وتبتعد بها عن اللغة العلمية الجافة ، يجب أن تؤلف جانبا مهما من مكتبة القرية ، وكلما كانت فى أسلوب قصصى أو على صورة الحوار أو مصبوغة بالصبغة الدينية كان أثرها أكبر وأنجع ، لأن الريفى لا ينفر من شىء نفوره من النصائح الصحية المجردة ، وطالما قابلها بالسخرية والتهكم أو بالتشكك وعدم التصديق .

والفلاح المصرى ماهر فى المسـائل الزراعية ، ولكن فى الدائرة التقليدية ، فقد يبز المتخصصين فى الثقافات الزراعية فى زراعاته المعروفة ولكنه لا يفكر فى التنويع والتجديد . فيجب أن نضع بين يديه كتبا زراعية توجهه إلى وسائل جديدة لاستغلال أرضه وتربية حيوانه ودواجنه : والعرض الاقتصادى لهذه الوسائل أكثر وجوه العرض جاذبية ، فاذا نحن وضعنا بين يديه أرقاما عن محصول الفدان من الزراعة الجـديدة وسعر هـذا المحصول بجانب النفقات المنتظرة للانتاج نكون قد سلكنا منتصف الطريق لحفزه على تجربة وسائلنا الجـديدة .

ولا يصح أن تخلو المكتبة من جريدة يومية أو جريدتين تصلان القرية بالعالم ، وتنميان فى نفوس الريفيين حب المشاركة العامة ، بل تغرسان روح الوطنية بتوسيع معنى الوطن فى أذهانهم حتى يشمل المملكة كلها بدل القرية أو المديرية .

هذا الى بعض المؤلفات الاجتماعية والتاريخية والأدبية العامة لمن هم فى مستوى ثقافى أرفع ولمن يرغبون فى زيادة ثقافتهم وهم فى الريف من المتعلمين ، حتى لا تكون القرية كهفا منقطعا عن العالم فى بطون التاريخ .